بسم الله الرحمن الرحيم

علاج قسوة القلب

أ/ ريم عبد الفتاح

المشرفة العامة على أكاديمية همتي رُقي

مفرغ من دروس الأستاذة الفضلى أمة العزيز / ريم عبد الفتاح

جزاها الله عنا خير الجزاء

لسماع الدرس صوتيًا ادخلي لقناة شرح أسماء الله الحسنى (للنساء فقط)

https://t.me/joinchat/O9Z_VRUyyPuVdW82

مقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله.

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فهو المهتد، ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، ثم أما بعد،

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى وأن خير الهدي هدي محمد ، وإن شر الأمور محدثاتها وأن كل محدثةٍ بدعة، وأن كل بدعة ضلالة، وأن كل ضلالةٍ في النار، أسأل الله -عز وجل- أن يفتح لنا وأن ييسر لنا أمرنا وأن يعفو عنا.

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، ونعوذ بك من علمٍ لا ينفع. اللهم إنا نسألك علماً يُباشر قلوبنا فتخشع وتُنيب وتُخبت لكً يا رب العالمين. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما. اللهم اهدنا لما أُختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاءُ الى صراط مستقيم. اللهم اهدنا إلى الصراط المستقيم يا رب العالمين.

الحمد لله -عز وجل- الذي مَنَّ الله علينا بهذا المجلس المبارك. أسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا دوماً من الشاكرين الحامدين، **ولكي ننتفع بالعلم لابد من أمرين:**

أولاً: تطهير القلب، لأن العلم يُنتفع به صاحب القلب الطاهر الخاشع، الذي يبتغي بعمله مرضاة الله -عز وجل- ولا يحمل في قلبه غِلاً ولا حِقداً ولا حسداً لأحد من المسلمين، قال تعالى، {إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [سورة ق آية ٣٧] أسأل الله -عز وجل- أن يرزقنا القلوب الخاشعة طاهرة، اللهم طهر قلوبنا من كل ما لا يُرضيك عنا يا رب العالمين.

ثانياً: لابد من العمل بالعلم، قال تعالى، {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} [سورة النساء آية ٦٦] فالعبرة بالفعل (فعلوا)،ليس الأمر أن نستمع فقط إلى درس علم، فلابد أن أعقد العزم من البداية على العمل. أسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا للعمل، وأن يفتح لنا فتحاً مبيناً، وأن يُيَسر لنا كل أبواب الخير، وأن يوفقنا دوماً لكل ما يُحب ويرضى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

محتوى الدرس:

- التعليق على ذم قسوة القلب للإمام ابن رجب.

- كيف يتخلص الإنسان من قسوة قلبه، ويعبد ربه على بصيرة، حتى يجد روحه في العبادات.

- تدبر سريع لآيات سورة التكاثر.

القلب السليم:

بدايةً أرجو أن نستحضر قلوبنا عند سماع هذه المحاضرة، وأن نقف مع أنفسنا بعدها ولو لدقائق بسيطة سائلين إياها: كيف حال القلب مع الله؟ هل أجد قلبي حاضراً خاشعاً في العبادات؟ هل يتأثر القلب عن تلاوة القران؟ هل تتكاسل عن الطاعات وأعمال الخير؟ كيف هي علاقتي مع الآخرين؟

سبحان الله! هذه أسئلة تحتاج أن نقف معها كل فترة، نتفقد بها حال القلب مع الله، فقسوة القلوب ثمرة الانشغال بالدنيا والانهماك في طلبها والمنافسة عليها.

فالقلب إذا صلح استقام حال العبد وصحت عبادته، وأثمر له الرحمة والإحسان إلى الخلق، لذلك وجب على العبد أن يسأل الله -عز وجل- أن يُطهر قلبه، وأن يرزقه قلباً خاشعاً حتى يستطيع أن يعبد الله -عز وجل- على بصيرة فَيجد قلبه في الصلاة وفي القرآن وفي التعامل مع الخلق.

ربك لا يُريد منك إلا قلبك، قال تعالى، {يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ}

{إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ} [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٨٨-٨٩]

ولما كانت قسوة القلب من علامات شقاء العبد في الدنيا والآخرة، وجب على العبد السعي للوصول لسلامة القلب، فبدون القلب السليم لن ينجو {إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ}

إن العبد صاحب القلب السليم تجده مستقيماً في علاقته بربهِ مُخلصاً لله -عز وجل- سليماً في علاقتهِ بالبشر، لا يحمل غِلاً ولا حِقداً ولا كراهية ولا ضغينة لأحد، مُداوماً للذكر وساعياً لمُجالسة الصالحين، يتحرى الحلال فى الكسب وأداء الأمانة، يُكثر من التوبة والاستغفار، وعدم الإصرار على الذنب.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك. اللهم يا من مُصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك. اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ونَعوذُ بك من علمٍ لا ينفع. {رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ} اللهم إنا نعوذ بك من قلبٍ لا يخشع ومن علمٍ لا ينفع ومن دعاء لا يُسمع وبطن لا تشبع نعوذ بك من هؤلاء الأربعة.

كان للإمام ابن رجب كما ذكرت رسالة طيبة في ذم قسوة القلب، فَقسوة القلب عِضال خطير يُصيب الإنسان ويذهب منه اللين والرحمة والخشوع، قال مالك بن دينار (ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب) أي أن أعظم عقوبة يُبتلى بها العبد أن يكون قلبه قاسياً.

أيضا قال حذيفة المرعشي، (ما ابتُلي أحد بمصيبة، أعظم عليه من قسوة قلبه) لأن صاحب القلب القاسي لن ينتفع بهذا القلب إن كان قاسياً، تجده مثلاً لا يتأثر ولا يرق قلبه عند زيارة القبور أو دفن الموتى، تراه مُنصرفاً إلى الدنيا، راكناً إليها.

وقد كان النبي يستعيذ بالله من قسوة القلب فيقول "اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع" فعلينا أن نجتهد للوصول إلى القلب خاشع، وأن يكون هذا هَم العبد، فبدون القلب الخاشع تكون العبادات بلا روح، ولا تستطيع تدبر القرآن، وليكن دأبك سؤال الله -عز وجل- القلب الخاشع، فإن وجد الله في العبد الحرص الشديد للوصول لهذا القلب السليم، مَنَّ الله عليه ورزقه به.

القلب القاسي:

وقد ذم الله هذا الداء العِضال الذى ظهر فى الأُمم السابقة كاليهود وغيرهم حيث قال الله -عز وجل- تَوْبِيخًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَتَقْرِيعًا لَهُمْ عَلَى مَا شَاهَدُوهُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِحْيَائِهِ الْمَوْتَى

{ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٧٤]

ومع ذلك صارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمل قاسية بعيدة عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات وإحياء الموتى، فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج لها، {فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٧٣]

انظر إلى قساوة القلوب، بل إن من الأحجار لما يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ، وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُ، وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ، فما بال القلوب فيها قساوة وفيها شدة وفيها إعراض و بُعد عن الله -عز وجل-؟!

يقسو القلب حين تذهب الرحمة، واللين منه، وإذا قسى القلب وأظلم، فسد حال العبد وخلت عبادته من الخشوع، فالقلب يحتاج إلى تفقده حتى نُذهب عنه هذه القساوة، وعلى العبد المُداومة على الذكر، وعدم التفريط في الفرائض، وترك المعاصي حتى يلين قلبه.

ذم الله -عز وجل- القلوب القاسية في مواضع كثيرة في القرآن، قال تعالى في سورة الأنعام، {فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٤٣]

انظر! إن قسوة القلب هي التي منعتهم من التضرع والخشوع والدعاء لله -عز وجل- ثم كانت النتيجة أن {وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وهذا ما نقع فيه جميعاً، أن يُزين الشيطان لكلاٍ منا أنه أفضل من غيره بكثرة صلاته وعباداته وما إلى ذلك، حتى يُوقع الشيطان الإنسان في المعاصي والذنوب، و يجعله يكتفي ببعض الطاعات التي يؤديها دون الاجتهاد في الإكثار من الطاعات والعبادات.

كـذلك يجـب ألا يزهـد العبـد مـن الطاعـات، وقـد عاتـب الله حتـى المـؤمنين فقـال تعـالى، {أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ}[سُورَةُ الحَدِيدِ: ١٦]

أي ألـم يجـئ الوقـت الـذي تلـين بـه قلـوبهم وتخشـع لـذكر الله، الـذي هـو القـرآن، وتنقـاد لأوامـره ونواهيـه، ومـا نـزل مـن الحـق الـذي جـاء بـه محمـد ، وهـذا فيـه الحـث علـى الاجتهـاد علـى خشـوع القلـب لله تعـالى، ولِمـا أنزلـه مـن الكتـاب والحكمـة، وأن يتـذكر المؤمنـون المـواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبون أنفسهم على ذلك.

ولا يكونـوا كالـذين أنـزل الله علـيهم الكتـاب المُوجـب لخشـوع القلـب والانقيـاد التـام، ثـم لـم يُـداوِموا عليـه، ولا ثبتـوا، بـل طـال علـيهم الزمـان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال يقينهم بالله.

فـالقلوب تحتـاج فـي كـل وقـت إلـى أن تُـذكر بمـا أنـزل لـه الله، ولا ينبغـي الغفلـة عـن ذلـك، فـإن ذلـك سـبب لقسـوة القلـب الـذي أصـبح كالحجـارة لا يتأثر لا بمواعظ ولا بقرآن، فعلى الإنسان أن يتفقد قلبه دوماً.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه، (لم يكن بين إسلامنا وبين نزول هذه الآية إلا أربع سنوات، فَعاتبنا الله تعالى، فبكينا لقلة خشوعنا لمعاتبة الله لنا، فكنا نخرج ونعاتب بعضنا بعضا نقول: ألم تسمع قول الله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ} فيسقط الرجل منا يبكي على عتاب الله لنا)

لذلك يجب ألا يزهد العبد من الطاعة، فالله عاتب المؤمنين أنفسهم، بل وجب علينا أن نُرطب قلوبنا كل وقت بدروس المواعظ و بأهمية الخشوع.

(كما قال الجوزي عن علوم الآلة، تأمَّلت العلم والميل إليه، والتشاغل به؛ فإذا هو يقوي القلب قوة تميل به إلى نوع قساوة)

أي أن الإنسان قد يُصاب بقساوة القلب لانشغاله بالعلم وتحصيله، مثل أصول الفقه والنحو وغيره، نعم نحن نحتاج إلى دراسة مثل تلك العلوم حتى نسد ما في الأُمة من ثغور، ولكن الإنسان يحتاج أيضاً أن يُرطب قلبه بأنواع من المُرطبات مثل المواعظ حتى تخشع القلوب وتلين.

على الإنسان أن يُذكر نفسه بأهمية الخشوع حتى يتعلق قلبه مع ربه، لابد أن يجد قلبه في طاعة، لابد أن تدمع عيناه، لابد أن يُذكر نفسه بقوله تعالى {أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ} [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٢٢]

بل إن من السلف من كان يستشعر عظمة الله وعظمة كلام الله، وتعظيم شعائر الله يعني، بل مات أحد السلف عندما قرأ وتدبر قول الله -عز وجل- {فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ} {فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ}[سُورَةُ المُدَّثِّرِ: ٨-٩]

وانظر إلى حال قلوبنا نحن الآن، قد تجد من يُقرأ عليهم القرآن فلا يتأثرون؛ وقد تجد من الناس من يتأثر ويبكي، ثم بعد ذلك -بعد وقت يسير- كأن شيئاً لم يكن، ومعلوم أن التأثر بالقرآن عند الصحابة يستمر لوقت الطويل، وكان يُعاد بعضهم ويمرض بسبب ما سمع وتأثر به.

وقد روى الطبراني عن أبي الدرداء ــ رضي الله عنه- أن النبي قال: "أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعا"

وقال بعض السلف لا يكون أشد قساوة من صاحب الكتاب إذا قسى، لأن صاحب الكتاب عرف الحق ولكنه لم يجده في قلبه فَقسى، إن أكثر شيء يجعل القلب مسئول هو ذكر الله، {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ} [سُورَةُ الرَّعۡدِ: ٢٨] فسبحان الله القرآن يجعل الإنسان دوماً قلبه مطمئن.

وَعَن ابنِ عُمَر رضي اللَّه عنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه "لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإنَّ كَثْرَة الكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّه تَعالَى قَسْوةٌ لِلْقَلْبِ، وإنَّ أبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ القَلبُ القَاسي" رواه الترمذي

وفي هذا الحديث حث على حفظ اللسان والحذر من الغيبة والنميمة والكذب والسب وغير هذا من ورطات اللسان، فكثرة الكلام بالقيل والقال أو الغيبة أو النميمة أو بما أشبه ذلك من الكلام الذي لا خير فيه من أسباب قسوة القلوب وبُعدها عن الخير، فالواجب حفظه مما حرم الله وإشغاله بما شرع الله.

أيضاً تدبر قول الله تعالى {قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ} {ٱلَّذِينَ هُمۡ فِى صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ} {وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ} [سُورَةُ المُؤۡمِنُونَ: ١-٣]

أي: قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بالخشوع في الصلاة، والتي إنما يحصل عليها من فرغ قلبه لها، واشتغل بالذكر وأعرض عن اللغو، لأن من شغل قلبه ولسانه باللغو، عجز عن الاشتغال بالطاعة والاجتهاد فيها، ومن ثم قَسى قلبه.

لذلك يجب على العاقل أن يصون لسانه ويحفظه، فمن حُسن عبودية الإنسان لربه أن لا ينطق لغواً، ولا يسمع لغواً، فلا يُشارك قوماً يُضيعون أعمارهم فيما لا فائدة فيه، فمن لغو القول أن تتحدث فيما لا تَتَيقن منه، مثل فض المنازعات وحل مشكلة بين الناس، وكثرة القيل والقال مما يُشغل القلب، ولك أن تتخيل هذا هو حال المرء وهو فقط يسعى لحل المشكلة بين المُتخاصمين، فما بال أصحاب المشكلة أنفسهم.

كذلك ورد في الحديث "أربَعةٌ من الشَّقاءِ: جُمُودُ الْعَينِ، وقَسْوةُ القَلْبِ، وطُولُ الأمَلِ، والحِرْصُ على الدُّنيا" نعم إن جمود العين دليل على قسوة القلب وعدم خشوعه، كذلك دليل على نسيان الإنسان لذنوبه و انشغاله بالدنيا عن الدار الآخرة، فقد يبكي الإنسان كثيراً عند وقوعه في مشكلةٍ ما أكثر من بكائهِ من خشية الله -عز وجل- وقد نبه النبي لِعظم أمرالآخرة فقال (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا).

إن البُكاء من خشية الله واجب، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتأملوا ما في القرآن من الوعيد الشديد، ثم استحضروا ذنوبكم، و مِرروا آيات القرآن على قلوبكم ، واسألوا الله -عز وجل- أن يرزقكم قلوباً خاشعةً حيةً مُخبتةً له سبحانه وتعالى، وأن يُذهب عنا قساوة القلوب.

❖ أسباب قسوة القلب:

إن قسوة القلب من العلامات التي تدُل على البُعد عن طاعة الله -عز وجل- واتباع سُنة نبيه ، ومن أسباب قسوة القلب:

- الغفلة عن ذكر الله -عز وجل-

إن عدم تفقد حال القلب يورث قساوة، وذلك أنّ الذكر يجعل العبد مُتذكراً خالقه في كلّ وقتٍ وحين فيُذيب القسوة من القلب، كما أن الإنسان إنما خلق للاستخلاف في الأرض وتوحيد الله وعبادته، قال تعالى، {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[سُورَةُ الذَّارِيَاتِ: ٥٦]

- طول الأمل والحرص على الدنيا.

فكما ذكرت حذّر رسول الله من طول الأمل الذي يؤدي بصاحبه إلى الغفلة عن الآخرة، والذي يدفع صاحبه إلى إساءة العمل، والابتعاد عن التوبة، وانتظار الجزاء من الله دون بذل الجهد في الطاعات.

- عدم التأثر بالموعظة وتلاوة القرآن.

فإن الوعظ من الأبواب العظيمة في مقام الدعوة الى الله، والإنسان بحاجة ماسة إليه، لكثرة الانشغال بالدنيا، والإعراض عن الآخرة، مما ينتج عنه فتور وضعف في الإيمان، فيترك سماع الوعظ والرقائق أو يَتَعود سماعها دون العمل بها، مما يجعل القلب يسمعُ آيات الوعد والوعيد، فلا يتأثر بها ولا يخشع، وهذا دليل على قسوة القلب.

- نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله.

لأن تذكر الموت يجعل القلب في حالة يقظة دائمة، وقد ذكرت حديث النبي (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلبَكَيْتُمْ كَثِيرًا) ولأجل هذا المعنى حث النبي على زيارة القبور لأنها تُذكر العبد بالآخرة، وفيما بعد القبر من حشر ونشر وصراط وحساب، أما غفلة العبد عن ذلك فإنها تُصيب القلب بالقسوة.

● كثرة الذنوب والمعاصي.

إذا أذنب العبد وكثرت ذنوبه وضعت غشاءً على قلبه حتى يصير قاسياً، قال تعالى، {كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ} [سُورَةُ المُطَفِّفِينَ: ١٤]

وقال رسول الله "إنَّ المؤمنَ إذا أذنب ذنبًا كانت نُكتةٌ سوداءُ في قلبِه ، فإن تاب ، ونزع ، واستغفر صقَل منها ، وإن زاد زادت حتَّى يُغلَّفَ بها قلبُه ، فذلك الرَّانُ الَّذي ذكر اللهُ في كتابِه"

●كثرة الكلام بغير ذكر الله -عز وجل- وكثرة الضحك والمزاح، وكذلك كثرة الأكل، وكثرة النوم مما يؤدي إلى التثاقل في العبادات، وهي وصية النبي لنا حيث قال ناصحًا أبا هريرة: "ولا تُكثرِ الضَّحِكَ، فإنَّ كثرةَ الضَّحِكِ تميتُ القلبَ" صحيح الترمذي

●نقض العهد مع الله، قال ابن عقيل:
يوماً في وعظه، يا من يجد قسوة في قلبه، احذر أن تكون نقضت لله عهداً، فإن الله قال {فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ}[سُورَةُ المَائِدَةِ: ١٣]

ونحن نَنقض عهدنا مع الله حين نُردد في أذكار الصباح والمساء (وأنا على عهدك ووعدك ماستطعت) ثم نُقصر ونُفرط ونبتعد عن الطاعات.

❖ علاج قسوة القلب:

ما رقَّ قلب لله وانكسر إلا كان صاحبه سابقًا إلى الخيرات، مُشمِّرًا إلى الطاعات، أحرص ما يكون على طاعة الله ومحبته، وأبعد ما يكون عن معاصيه ومكارهه.

الإكثار من ذكر الله:-

يعمل الذكر على ترقيق القلب، واستشعار العبد مراقبة الله -عز وجل- له، بالذكر يغفر الله الذنوب ويمحو السيئات، ويرفع الدرجات، وبه تحصل طمأنينة النفس وراحة القلب، قال تعالى،
{ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ} [سُورَةُ الرَّعۡدِ: ٢٨]

قال ابن رجب إن كثرة ذكر الله -عز وجل- يكون بتواطؤ القلب واللسان، {وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا} [سُورَةُ الكَهۡفِ: ٢٨] وكلما غفل القلب عن الله زادت قسوته، ومات القلب والجسد لازال حياً.

الإكثار من النوافل والطاعات وقيام الليل:-

إن كثرة النوافل والطاعات تُقرب العبد من الله، كما يحصل العبد من صلاة قيام الليل على الأجر الوفير والخير الكثير حيث تشهدها الملائكة، فعلى العبد أن يجتهد أن يُقيم الليل ولو بركعتين، فإن قيام الليل من أسباب دخول الجنة ورفع الدرجات.

قراءة القرآن وتدبر آياته:-

تلاوة القرآن بتدبر وحضور تلين القلب القاسي، وتستدر الدمع من خشية الله تعالى، وقد يُصلى العبد بآية واحدة يستشعرها ويرددها ويُمررها على قلبه، وقد قام النبي الليل بآية واحدة وهي قول الله تعالى،{إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ}[سورة المائدة: ١١٨]

دعاء الله عز وجل بالهداية وأن يُذهب قسوة القلوب:-

هذا وقد كان رسول الله شديد التعاهد لقلبه يداويه ويصلحه بالدعاء " اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"

فكن مُلحاً في الدعاء، مخلصاً لله، سائلاً الله -عز وجل- أن يرزقك الخشوع.

الإكثار من التوبة والاستغفار، وعدم الإصرار على الذنب:-

لأن الاستمرار على الذنوب والتهاون بها سبب رئيس في قسوة القلوب، فيجب على العبد كثرة الاستغفار وعدم الإصرار على الذنب، والتضرع لله والبكاء من خشيته.

احتساب كل عمل تقوم به لله -عز وجل- حتى يتحول إلى عبادة:-

لك أن تتخيل كيف سوف تصبح حياتك إذا احتسبت كل عمل لله، نحتسب طاعة الزوج، وتربية الأطفال، وإعداد الطعام، وفك الكروب، كل هذا مرضاة لله -عز وجل- إن الاحتساب يَجعل العادات عبادات، ويُخفف المشقة ويُسكب في النفس الرضا والإخلاص والمراقبة.

حتى نومك احتسبه لله كي تقوى على الطاعات والصلوات، فأنت مع الله في كل حركاتك وسكناتك، أن تتبرأ لله بحولك وقوتك، وليكن شعارك {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ} [سُورَةُ طه: ٨٤]

الجود والإحسان إلى الخلق:-

عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ أَنَّ رَجُـلًا شَـكَا إِلَـى النَّبِـيِّ قَسْـوَةَ قَلْبِـهِ فَقَالَ: "امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمْ الْمِسْكِينَ".

فـإن إطعـام الطعـام فيـه بـذلٌ للمـال، وتفقـد حاجـات الفقـراء والمسـاكين، فيـرق القلـب ويحنـو علـيهم، وعنـد مسـح رأس اليتـيم يلـين القلـب القاسـي ويتـذكر أنـه سـوف يكـون رفيقـاً للنبـي فـي الجنـة حيـث قـال (أنـا وكافِـلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا وأَشارَ بالسَّبَّابَةِ والوُسْطَى، وفَرَّجَ بيْنَهُما شيئاً).

كـذلك زيـارة المرضـى وأهـل الـبلاء، ولـيَحتسـب العبـد هـذا مـن بـاب جبـر الخواطر.

تذكر الموت وزيارة القبور:-

لأن قسوة القلب تأتي من تعلق القلب بالدنيا ونسيان الآخرة، فإذا أكثر المسلم من ذكر الموت وحضور الجنائز، ساعد ذلك على لين القلوب ورقتها، والتفكر في حالهم، وأن العبد لا بد أن يموت يوماً، قال رسول الله "زُورُوا الْقُبُورَ؛ فإنَّهَا تُذَكِّرُ المَوْتَ".

- إشارة سريعة لتدبر آيات سورة التكاثر:

{أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ} {حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ}[سُورَةُ التَّكَاثُرِ: ١-٢]

●(التكاثر) أي في الأموال والأولاد والزينة والدنيا، وكل ما يتكاثر به المتكاثرون الذين كانوا في لهوٍ وغَفلة حتى (زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ) أي فظلتم في غفلتكم وتَشاغلكم حتى أتاكم الموت، فصرتم في المقابر زواراً ، ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار، وجاء بلفظ زرتم للدلالة على السرعة وعدم الجدوى من الصراع على الدنيا، فهي لا تستحق هذا الحقد والحسد.

{كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ} {ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ} [سُورَةُ التَّكَاثُرِ: ٣-٤]

أي تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب، وإنك أيها الإنسان قد اخترت الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

{كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ} {لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ} [سُورَةُ التَّكَاثُرِ: ٥-٦]

أي ولو أن الإنسان لديه يقين بالآخرة، لِما انشغل بالتكاثر، حتى يرى الجحيم التي أعدها الله للكافرين.

وقد وصف الله المتقين في سورة البقرة بقوله تعالى، {وَبِٱلۡـَٔاخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٤]

وقال القرطبي (ما رأيت يقينًا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت ثم لا يستعدون له)

{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ} {ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ} [سُورَةُ التَّكَاثُرِ: ٧-٨]

أي: رؤية بصرية حقيقية، والحمد لله الذي لم يَقل (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا حق ٱلۡيَقِينِ) وإلا كان هذا دلالة على أن جميع البشر سوف يدخلون النار والعياذ بالله، نسأل الله العفو والعافية.

ولكن جميع البشر سوف يمشون على الصراط حيث قال تعالى، {وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا} [سُورَةُ مَرۡيَمَ: ٧١]

- **الفرق بين علم اليقين وحق اليقين** :-

- علم اليقين هو أن تسمع بالشيء ولكنك لا تراه ثم بعدها قد تَتيقن منه.

مثال:

إذا أخبرك شخص صادق أن لديه تفاح في منزله، فأنت على علم يقين بذلك لأنك اعتدت منه الصدق.

- حق اليقين هو أن تتيقن من أن الأمر الذي علمت به هو أمر صحيح.

مثال:

فإذا ذهبت مع هذا الشخص إلى منزله وشاهدت التفاح وتذوقته فأنت الآن لديك حق اليقين.

(ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ) الذي نعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه، أم اغتَررتم به ولم تقوموا بشكره؟

وعن الزبير بن العوام قال: لما نزلت: {ثم لَتُسۡـَٔلُنَّ عَنِ ٱلنَّعِيمِ} قال الزبير: يا رسول الله، أي نعيم نُسأل عنه، وإنما هما الأسودان التمر والماء؟ قال: أما إنه سيكون"
أي سوف يُسئل الإنسان عن هذا النعيم.

وليست هذه دعوة إلى التقشف، بل هي حث على استشعار نعم الله -عز وجل- والانضباط وعدم التبذير والإسراف والتفاخر، قال تعالى {وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ} [سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ٣١]

وقول النبي "ما مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا من بطن، بِحَسْبِ ابن آدم أُكُلَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَه"

إن من يُدرك خطر مرض قسوة القلب في الدنيا والآخرة، سوف يُسارع بتجديد التوبة إلى الله -عز وجل- وذلك بالندم والاستغفار لما مضى، والإقلاع عن الذنوب، وكثرة ذكر الله الذي يتواطأ عليه القلب واللسان.

أسأل الله العظيم أن يرزقنا قلوباً حيةً سليمةً مُنيبةً مُخبتةً. أسأل الله -عز وجل- أن يرزقنا توبةً نصوحةً خالصةُ لوجهه الكريم.

أسأل الله -عز وجل- أن يجعل هذه الكلمات في ميزان حسنات آبائنا و أمهاتنا وأن يجزيهم عنا خير الجزاء، وأن يجمعنا بهم في الفردوس الأعلى من الجنة، دون سابقة عذاب ولا حساب.